النجف والرأي العام

بقلم : مهدي المخزومي
استاذ الأدب العربي في دار المعلمين الريفية

— ١ —

لقد انتهت الحرب العالمية الثانية والقت الامم المتحاربة السلاح ، وباشرت في عمليات تسريح الجيوش الضخمة التي كانت تدير دفة الحرب ، واخذت الدول تسعى في اجتماعاتها ومؤتمراتها الى انشاء عالم جديد يختلف من جميع وجوهه عن العالم الذي سبقه ، الى انشاء دنيا يعيش الفرد في ظلها عيشة كلها حرية وكلها اطمئنان ، الى انشاء مجتمع ارقى من النواحي الاقتصادية والثقافية والصحية .

نعم لقد انتهت الحرب ولكن يالهول ما كان في بلادنا بعدها ! فلقد عاشت وكانها لم تتأثر بما حولها ، او كأنها لم تكن جزء لا ينفصل عن الاسر العالمية الاخرى ، لقد عاشت بمعزل عن هذه التيارات الجارفة القوية التي جاءبها التطور العالمي السريع ، لقد عاشت ولاتزال كذلك ، منطوية على نفسها عاكفة على ماورثته من عصورها المظلمة التي ودعها العالم دون اسف عليها ، راضية من دنياها بالكفاف تعيش عيشة الزهاد المتصوفين وليست منهم ، وتتظاهر بالاخذ باسباب المدنية وهي بعيدة عنها ، وهي بالاجمال تعيش عيشة الحائر المتردد الذي لا يدري اين يولي وجهه لا يريد ان يبقى على ماهو عليه لانه يرى ركائب العالم تسير على مرأى منه ومسمع ، ولايريد ان يقدم لانه تعود هذا الجمود الذي ذاقه فأنس به وجربه فارتاح اليه .

ولست اقصد من بلادنا كل ماضمته الحدود الجغرافية ففي ذلك القصد ـ ان وقع ـ ظلم لكثير من المدن التي برهنت انها لاتطيق الجمود او انها سئمته واخذت تتشبث بكل ماهو جديد ، تستحث ركائبها لتلحق بالقوافل السائرة قدما ، لست اقصد كل ذلك وانما اقصد مدينة كانت يوماً محط آمال الشعب وقبلتها التي تتجه اليها علمياً وادبياً والتي تعد خادماً امينا على التراث العربي المجيد ، والتي سهرت عليه وجاهدت في سبيل ابقائه بالرغم من تلك الهجمات العدائية التي كان يقوم بها حزب الاتحاد والترقي الذي كان من اول بنوده ان يلحق هذه البلاد العربية ، بالوطن العثماني وان يجعلها جزء منه ، وذلك لايكون ـ قطعاً ـ الا بالقضاء على اهم مايستند اليه في استقلاله عن

يا ايها المتعبدون باحكام الشريعة المحمدية : المتصفون بصفات الحمية . المنقادون لامتثال الاوامر الاسلامية . تأسوا بعمل السلطان العادل . واجعلوا ماتنفقونه لكم يوم لا ينفع مال ولا بنون ذخراً . وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله خيراً . وأعظم وأجزل . واغتنموها فرصة . تكن لكم اليد على من بعدكم من القرون والمنة فان الله إشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة . هذا صراط الله بكم الى الحرمين مستقيم . رزقكم الله الاتفاق فيه وذلك هو الفوز العظيم . . . الخ وهي طويلة جداً .

اكتفينا هنا بهذه النماذج التي اخترناها من بين الرسائل الفائقة في مجموعة هذه الرسائل التي يغلب عليها اسلوب المقامات كما قلنا .

عبد الحميد الدجيلي

الوطن العثماني وهو اللغة ، لذلك حاول تتريك ابنائها .

ولكن الامناء على ذلك التراث المجيد دافعوا عنه دفاع المستميت . وظلوا يدافعون ويدافعون بالرغم من ان رقعة دفاعهم اخذت تضيق بالتدريج الى ان جاءت النهضة الحديثة على اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى واذا بتلك المواقع الدفاعية : الازهر في مصر والاديرة في لبنان والنجف في العراق تسترد نشاطها وتجدد جهادها ، واذا بها تستعيد ما فقد منها في حربها الدفاعية ، واذا بها ترسل الشرارات الثلاث لتنشر في هذه الربوع ولتضيء ما اظلم منه ، واذابها تلتقي فيتكون منها قبس مضيء لا زالت البلاد العربية تهتدي بهداه :

ثم اخذ اثنان منها يتجهان صوب الغرب ليتزودا منه بما يساعدهما على الاستمرار على السير واذا بهما يخطوان خطوات واسعة الى الأمام ، ولا يزالان دائبين هدفهما الالحاق بقوافل العالم السائرة قدماً ، والاشتراك معها في بناء حضارة عالمية جديدة .

غير ان الثالث واعني النجف فقد اكتفى بأن دافع في تلك الفترة الخالية ، ولعله قد استسلم للضعف بحيث لم تعد فيه قابلية على القيام بعمل من شأنه المساهمة في بناء الحضارة الحديثة فركن الى الهدوء وخلد الى الدعه تاركاً لغيره القيام بهذا العبء الثقيل الذي لم يعتد على القيام به غيره اولم يكن في غيره تلك الحنكة التي اكتسبها هو بالتجارب القاسية التي بتلاها واختبرها .

فماذا ينتظر من ذلك ؟.. وهل يريد ان يحصل الغيارى على غير هذه النتيجة المرة من مثل بلد ترك الحبل على الغارب وتنازل عن حقوقه كقائد للرأي العام وموجه له ؟ ؟ . .

وهكذا بقيت قيادة الرأي العام كرة يتلاقفها ذوو المصالح والاطماع الذين يحاولون الوصول الى غاياتهم ومآربهم ، واخذت الايدي الطامعة تتلاقفها الى ان وصلت اخيراً الى الطبقة الجاهلة التي ليس لها من الثقافة والرأي ما يؤهلها الأن تقود الجماهير الى حيث يجدون سعادتهم ومكانتهم اللائقة بتاريخهم المجيد وكفاحهم العظيم .

فاذا احس بعض النابهين بهذا التبلبل وجاهر بالشكوى — والالم يحز في نفسه — من هذه الأوضاع المزرية راميا بذلك الى الاصلاح ثار اولئك الطامعون في وجهه ثورة عنيفة تتجه له على اثرها التهم التي تتضمن مروقه من الدين وخروجه على التقاليد البالية فلا يجد بداً من السكوت .

فهل نيأس من اصلاح هذا البلد ؟ أو لا يوجد من يعقد عليه الأمل في القيام بهذا العبء الذي اصبح الان ثقيلا جداً يحتاج للقيام به الى جهود جبارة جداً ؟

لا . . ليس لنا ان نيأس لان لنا أملا كبيراً نرجو ان يتحقق فان الدعوات الفردية اذا خابت ولم تلاق نجاحاً فان هناك املا في دعوة اجماعية تقوم بها المؤسسات التي قام بتأسيسها نخبة من الشباب المثقف وعلى رأسها جمعية الرابطة الأدبية .

والدعوات الاصلاحية اذا كانت مؤيدة بالمنظمات فانها لاشك ستنال بغيتها وستحصل على ماتريد .

وعلى هذا . . فان على عاتق جمعية الرابطة واجبا مقدساً يجب ان تتحمل اعباءه ويجب ان تقاسي في سبيل القيام به ماتقاسيه المنظمات الاصلاحية الكبرى ، وان على عاتق هذه الجمعية فرضاً فرضته عليها الأمة ، وفرضه عليها التاريخ الباسم

ـ سوانح وخواطر ـ

للعلامة السيد عباس شبر

لا يألف المجد من باخت عزائمه ... فدولة المجد بين السيف والقلم
المجد مملكة تحيى شبيبتها ... في خدمة العلم او في خدمة العلم

☆ ☆ ☆

عودان وحي الفن بات عليهما ... وقفاً لأبناء الشعور السامي
لهما باسلاك القلوب علائق ... قلم الأديب وريشة الرسام

☆ ☆ ☆

المرء يصبو للثنا ويهزه ... نعم المديح وان تظاهر بالاباء
من رد مدحك او تواضع عنده ... فقد اشتهى منك المديح مركبا

☆ ☆ ☆

يقولون ان الحرب حرب مبادىء ... كما نسبت من قبل للجنس والدين
وما الحرب الا للمطامع تنتمي ... فليست لتحرير وليست لتمدين

☆ ☆ ☆

عزائي من دنياي كتب بدرسها ... خلال ديار الغابرين اجوس
عقول تناجيني وقد غاب اهلها ... فاوطانها بعد الرؤس طروس

الخاني ، وان عليها ان تقوم بكل اخلاص في سبيل تحقيق هذه المثل الوطنية، وفي سبيل تطبيق هذه المبادىء الاصلاحية.

عليها أن تتبع ماضيها فتقتله بحثاً وتنقيباً وان تبحث عن تراثها فتسعى في احيائه، وان تخطو خطوات واسعة إلى الامام لتتلافى ما يمكن تلافيه من تقصير المسافة بينها وبين ركب العالم السائر.

وعليها ان تسعى في توجيه الشباب توجيهاً صحيحاً باقامة الحفلات الثقافية التي من شأنها ان تنير الرأي العام ، وان تطلعه على كل ما يجري حوله مما هو عنه في سكرة وغفلة .

وعليها ان تنشط في فتح الفروع التي تشرف عليها اشرافا يمكنها من السير على وفق الخطة المرسومة التي ينظمها لها المركز العام لتساهم كلها في ايجاد نهضة ادبيه علمية تليق بها كجمعية وضع اساسها شباب حي في بلد كان يطاول الأحياء في حيويته وعبقريته ونشاطه .

وما عليها الا ان تسعى في تلك السبيل، وما على الشباب اليقظ الا ان يمد لها يد المساعدة فانها كمؤسسة تحتاج الى كثير من المعونة التي يسديها لها المنتسبون الغيارى .

مهدي المخزومي